

من " كتاب محاضرات في اللسانيات العامة" إلى السوسيرية الراهنة

From the Course in General Linguistics to Saussurism Today

مرزوق محمد

أستاذ محاضر(أ)

¹ جامعة سيدي بلعباس

amine_merzoug@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2023/3/8

تاريخ القبول: 2023/.1 /14

تاريخ الاستلام: 2022/9/28

الملخص:

بالرغم من المكانة التي يحظى بها كتاب "دروس في اللسانيات العامة"(CLG) المنسوب إلى سوسير، إلا أن المشروع السوسيريّ يبقى بحاجة إلى إعادة قراءة، سيما في ضوء ما تمّ اكتشافه سنة 1996 من مخطوطات (بخط يد سوسير)، والتي أصبحت متاحة إثر نشرها سنة 2002 تحت عنوان: "كتابات في اللسانيات العامة".
الكلمات المفتاحية: اللسانيات العامة. اللغة. اللسان. سوسير. علم الدلالة . النص.

Abstract

general Although Saussure did not write the CLG, this posthumous work remains important in the history of linguistics, and of Saussurism in particular. This article consists of unveiling the thought of F. D. Saussure from the original Texts (autograph manuscripts of Saussure, discovered in the family Orangery in 1996, published in 2002: Writings of linguistics

key words :General linguistics. language. Saussure. Semantic text

نقترح على القارئ العربي هذه المقابلة الحوارية التي يعرض فيها فرانسوا راسيني لهذه المسألة مبرزاً مدى تأثير سوسير ليس في واقع الفكر اللساني الراهن فقط وإنما في منظومة العلوم الثقافية برمتها.

1. بعد مضيّ مائة عام على الإصدار الأول لكتاب: محاضرات في اللسانيات العامة (CLG)، في رأيكم ما أهمية هذا الكتاب، وكيف كان تأثيره على السياق الفكري والأكاديمي في ذلك الوقت؟

حظي كتاب (CLG) بأهمية كبرى، فمن جهة استطاع أن يبقى اسم سوسير حياً - إذ بدون هذا الكتاب لظلّ اسم سوسير مجهولاً اللهم إلا لدى المتخصصين في علم اللغة التاريخي والمقارن وعند مؤرخي الأفكار اللغوية - ومن جهة أخرى فقد عمل على نشر بعض أطاريح سوسير "الراديكالية"، (من مثل عدم ملائمة المرجع) على الرغم من أن علم الدلالة الغربي كان دوماً مرجعياً، ولا يزال كذلك في كثير من جوانبه.

ورغم ذلك كله، فإنه وبعد مضيّ قرن من الزمان، فإن كتاب (CLG) يكون بلا شك قد استنفد "مهمته التاريخية" لأسباب متماثلة. هي:

✓ إنه (أي CLG) عملٌ منحول وكتاب ألف بعد وفاته صاحبه، وقد تمّ تحريره من طرف زملاء سوسير الذين لم يحضروا قطّ دروسه. فلا يمكننا قبول محاكمة أفكاره حتى من خلال وثيقة كهذه، فكيف يعقل أن يتمّ ذلك من خلال محاضرة جامعية إذ فلا ينبغي لنا أن نجزم بخصوص جوهر أفكاره. من مثل: أبحاث سوسور النصية حول الجناس التصحيقي، والمدونات الأسطورية، وأبحاثه الإبداعية التي شغلته طيلة عقد من الزمن في نهاية حياته والتي تظل مغيبّة.

ومؤخرا، سَجَّلنا عديدا من التَّلَاعِبَاتِ التحريرية، لا يَهَمُّ أَكانت بسوء نية أم بحسنها، فقد أَفَضْتُ إلى تشويه الفكر السوسيريِّ وإِعاقة فهمه، ولن تشفع لها تلك الشروح التبسيطية والتعليمية المصاحبة بالرغم من إِسهامها في النجاح الأكاديمي لكتاب (CLG).

✓ تم القيام بعمل هائل لأكثر من نصف قرن على نصوص سوسير المخطوطة، والتي لم يتم نشر معظمها فيجب أن يؤخذ هذا جدِّيا في الاعتبار، ومراعاة ذلك أيضا حين إعادة قراءة كتاب (CLG). وفي رأيي أن العلم الذي لا يحسن قراءة نصوصه التأسيسية محكوم عليه بالإدانة.

وأوافق هنا رأي "بيير فرات Pierre Frath" في مراجعة جماعية لكتاب "الجوهر المزدوج للغة L'essence double du langage" حين يقول: "أتعجب من أن كتاب (CLG) حجب النصوص الأصلية لسوسير، سواء تلك التي نُشرت خلال حياته أو بعد وفاته. والغريب أن سمعة سوسير بُنيت على أساس كتاب ليس من تأليفه، كتاب ما كان ليوافق هو عليه.

ولم نتوان ثلثة من الباحثين مَن انبروا لدراسة الأعمال المخطوطة للهِمَّ الجينيقي - بداية من الخمسينيات - مشيرةً إلى عدد من التناقضات والأخطاء في كتاب (CLG)، غير أن ملاحظاتهم ظَلَّت دون صدَى مسموع. والمدَّهش حقا أن قراءة متأنية لكتاب (CLG) من شأنها أن تُربك أيَّ لسانياتيٍّ حتَّى ولو كان قليل التمرُّس، ذلك أننا نتنبه بسهولة إلى عدد غير قليل من الهنَّات ونقاط الضعف.

إننا نعتقد أن بعض الجوانب تكون قد غابت عن بالي وسيشهاي، وهو شيء ليس بالغريب نظرا لمتانة الفكر السوسيريِّ وأصالته مثلما يتجلى ذلك في "كتابات في اللسانيات العامة" (ELG).

لأنّ سوسير ليس فقط بالأب المؤسس للسانيات الحديثة من خلال نص ملفّق ومنحول، بل إنه حقاً مؤلّف سابق لعصره، مبدع وأصلي، ويمكن لأفكاره، إذا ما تمّ فهمها وتنفيذها، أن تعطي تخصصنا دفعة افتقرت إليها بشدة طيلة عقود خلت. ولنتذكر أن اللسانيّاتيين من ذوي التقليد السوسيويّ اعتمدوا بشكل أساسي على ما نشره سوسير وتحديداً في "Mémoire" مذكراته وأيضاً على الكتابات الأخرى التي تمّ جمعها في مجلد 1922 .

وبعد اطلاع كلّ من بالي وسيشهاي على ما خطّه سوسير بيمينه، صرّحاً في مقدمة الكتاب الذي قاما بتحريره، كتاب (CLG)، بأنهما لم يعثر خلاله على شيء ذي بال. (و يبدو أن هذه الملاحظة لم تنل حقّها من الانتباه، وتمّ إغفالها بشكل غريب).

وقد ظلت هذه الآثار المخطوطة متاحة للباحثين على مستوى المكتبة العمومية لجينيف منذ أزيد من نصف قرن. كما أنّ هناك كمّ آخر اقتناه رومان ياكبسون موجود على مستوى مكتبة Harvard هارفرد .

وقد قام "إنجلر Engler" منذ سنة 1974 بنشر معظم ما يتعلق باللسانيات العامة في المجلد الثاني من الطبعة النقدية لكتاب (CLG) . بينما توجد العناصر الرئيسية من هذا الموضوع ضمن تلك الملاحظات الغنية جداً التي دونها "دوماورو De Mauro" في نشرة كتاب (CLG) لسنة 1971.

ومع ذلك فإنّ ما تمّ اكتشافه عن طريق الصدفة من مخطوطات بستان البرتقال قد قدّم إضافات حاسمة تجعل من التمسك بكتاب (CLG) أمراً محالاً، حتى ولو تمّ تذييله بشروح وتوضيحات.

معلوم أنه حين ظهرت "كتابات في اللسانيات العامة" في عام 2002، أعلنت بعض الأصوات الأكاديمية أن هذا الكتاب لن يجلب شيئاً جديداً، وأن سوسير سيظل غير راهن وأن البحث قد تجاوزه.

اتَّجَاهُ تلفظيٍّ مستوحى من البراغمية (التداولية) قام باختزال سوسير داخل لسانيات اللسان فقط، وقد ارتكز على الجملة الأخيرة لكتاب (CLG)، والتي تحصر لسانيات دو سوسير في دراسة اللسان " في لذاته ولذاته". غير أن هذه العبارة المستوحاة من "بروب Bopp"، والواقع أن بالي وسيشهاي قاما بنسبتها بشكل احتيالي إلى دو سوسير، بالرغم من أن سوسير كان أول من دعا إلى بناء لسانيات الكلام.

حين قام بالي بتقديم فكر دو سوسير عن طريق كتاب (CLG)، تعمّد طمس هذا الجانب (لسانيات الكلام) وقام بإخفائه، ثم جعل منه لاحقاً حقلاً لمسيرته العلنية. ومع ذلك، حين يُنتقد سوسير في هذا الموقف المتعمّد في نسبته إليه زورا، تلفي أن سوسير يذهب أبعد من أولئك الذين يزعمون أنهم تجاوزه.

وبالرغم من مرور عشرين سنة إلا أن الإنكار لا يزال قائماً حتى ولو في أشكال مبطنّة إلى حد ما. إذ نتبجح بالاحتفال بذكرى صدور كتاب (CLG) ونغض الطرف عن اكتشاف "عن الجوهر De l'essence"، ويصل الحدّ إلى الإعلان خلال محاضرة في أحد الملتقيات الدولية أن سوسير: "لا يمكن ألا يكون مؤلّف كتاب (CLG) ..

ولا يزال الشك منتشراً على نطاق واسع، ذلك أنه في عالم أكاديمي مشبع بالرضا الذاتي، يشعر الكثيرون فيه بالرعب من الراديكالية السوسيرية.

لذلك تساءل "أوزوالد ديكرود Oswald Ducrot " ذات مرة: "هل بمقدورنا ألا نخون سوسير؟ (....) ربما يجب أن يكون سوسير فقط بمثابة خط أحمر وتحذير دائم،

يستحيل عدمُ تجاوزه. إنه تأنيب ضمير اللسانيّتين، مثل ضمير سقراط وباقي الفلاسفة."

ومن خلال هذا التفكير الواهم فإنّ المقارنة مع سقراط تجعل من سوسير معلّمًا في جلباب المفارقة، وتصيرُه أستاذًا في علم الأخلاق وليس عالما باحثًا. لأنه إذا كان سوسير مثل سقراط لم يخلف وراءه "أثرًا مكتوبًا"، أو في حال ظلّ أثره مثار جدل وإشكال، فإنّ ذلك كان سيجعل من مبادئ فرادته الفكرية أمرًا مستعصيا على الفهم. ولكن وبعد أن تمّ اختزال الفكر السوسيريّ وحصره في معتقد، فإنّ مسألة تجاوز سوسير ستغدو أمرًا مرحبا به.

غير أنّه إذا كان هناك ثمة من معتقد، فإنّه سيوجد لا محالة داخل كتاب (CLG)، وهو ما لا نلفيه في هذا الكتاب حين يعرض وجهة نظره.

وسواء أتمّ رفضها أم تبنيها، فإنّ العقائد هي في الواقع من عمل الحواريين من التلاميذ وليس من عمل السادة المعلمين. ومهما يكن فقد تجاوزنا اليوم التبسيط المبذل الذي قام به محررو كتاب (CLG)، وإنّ هذا التجاوز يمكن عدّه جزءًا من تاريخ السوسيرية.

غير أنّ النقاش يجب أن يطال: طاقة المشروع السوسيريّ الذي لا تزال بكرا ومعطأة، والأمر متروك لنا من أجل استخدامها بشكل جيد.

س2 إذا تحدثنا عن الأثر بوصفه فعلا تأثيريا أو عن الحركة التي يولدها أي عمل جديد أو مثير للجدل، فما وصفكم لأثر سوسير على الفكر المعاصر؟

يبدو تأثير الفكر السوسيريّ هائلًا، وكثيرا ما نلفي العديد من المؤلفين الأكثر ذكرا في القرن الماضي، يستشهدون به، بدءا من "لاكان" إلى "دريدا"، ناهيك عن

"بورديو" أو "فوكو". واللافت للنظر أن الفحص الدقيق للمسألة، يُبين عن سوء فهم كبير مصاحب لهذا النجاح.

وفضلا عن ذلك، فإن اختزال العلامة (signe) إلى الدال الواحد من شأنه أن يفتح الباب أمام مسارين متعاكسين وإن كنا متكاملين: المسار التفكيكي، الذي باشره "لاكان" ثم "دريدا". والمسار الشكلي الذي تستند إليه النظرية المنطقية الرمزية في مجال علوم الإعلام.

ففي الحين الذي جعلت فيه المثالية التقليدية من المدلول سيّدا على الدال نسجل أن التأليه المتناقض للدال بدأ مع سنة 1955، وكان ذلك خلال حلقة دراسية شهيرة أين أفاد "لاكان" من سوسير لتفكيك الازدواجية بين الدال والمدلول.

وبذلك يفصل "لاكان" بين جانبي العلامة، بالرغم من أن سوسير يستبعد ذلك صراحة، كما يشير إليه مثاله الشهير في المقارنة بين وجهي الورقة الواحدة.

ويؤسّس "لاكان" موقفه هذا على أساس أن الخطّ المحوريّ الذي ينظم حوله كتاب (CLG) يقوم على مبدأ التمييز بين وجهي العلامة (وهذا غير صحيح لأنّ هذه القراءة لا يدعمها نصّ مخطوط).

وأنّ هذا التمييز هو بمثابة الحد الفاصل للمعنى، والذي يجعل منه حدا لهذا الفصل. وهو ما سيشكل – لاحقا – عائقا مستديما أمام تفكير تلامذته وحواريه، وحتى النقاد منهم من مثل "جان لابلانـش Jean Laplanche".

وباختصار، فإنّ "الدال موجود خارج كل دلالة" وهو تأكيد أنطولوجي يتعارض تماما مع الموقف السوسيريّ.

ويتجلى هذا التعارض الجدلي بين الطرحين من خلال التمثيل المجازي الذي يضع فيه "لاكان" الدال في مقام أعلى من المدلول . ويتلخص بحثه حول المعنى حين يؤكد:

أَنَّ كلَّ دال في حدّ ذاته دالٌّ لا يدلّ على شيء، وكلّما افتقر الدال إلى الدلالة على شيء كلما اشتدّت مقاومته للتقويض. وهو ما يتفق مع أطروحته القائلة بأن اللغة "لا تنطوي على أية دلالة".

وأياً كان هذا التعريف الواهم للغة فإنّه مناسب بالتأكيد لبعض الأمراض العصبية، ذلك أنّ هذه الاضطرابات من شأنها أن تنتج نوعاً من اضمحلال الدال وتفكّكه، ليغدو حينها الدال والمدلول في مظهر منفصل تماماً.

وبتضخيمه للدال فإنّ " دريدا" سيطبق العملية "اللاكانية" بشكل مكثّف على مستوى التعبير لرفض "المنطقية العقلية" لدى سوسير واللغويات البنيوية. لقد استعار هذا المفهوم دون أن يشير إليه من عالم الرسم البياني النازي "لودفيج كلاج Ludwig Klages"، وذلك انتصاراً للحرف على حساب الصوت.

غير أنّ هذا الانتصار للحرف لا تُعضّضه أية حُرْفية أو فيلولوجية، ذلك أنّ موقف "دريدا" يدّعي قراءة سوسير وهو في الحقيقة لا يعتمد على أيّ مصدر مخطوط (من تلك المصادر التي أعدّها "كوديل Godel" عشر سنوات من ذي قبل). وبذلك يصطّف "دريدا" في الضّفة المقابلة التي يمثلها المنظّرون الوضعيون الذين ينظرون إلى العلامة بوصفها مجرد إشارة مادية بسيطة (حبراً على ورق).

وبذلك قام كلٌّ من "لا كان" ومن بعده "دريدا" بتفكيك مفهوم العلامة وذلك باستخدام ثنائية الدال / المدلول.

لينتهي "دريدا" في "الأجاس" إلى القول بأنّ "الأجاس مثلها سمعناها من ذي قبل تُقرع مؤذنةً بنهاية الدلالة، والمعنى والدال...".

ولا يتعلق الأمر هنا بمجرد سوء فهم لسوسير وللبنوية، بل هو رغبة معلنة في التخلص من كل نزعة علمية وعقلانية، بدعوى (مثلها يؤكد هایدجر) أن "العلم لا يفكر". وبذلك ستغدو البنوية في هذه القضية مجرد فزاعة يدوية. وباختصار، فقد تمّ استخدام اسم سوسير وبعض المقاطع المشوّهة من كتاب (CLG) لعرقة مشروع السيميائيات والعلوم الثقافية.

3- بعد اكتشاف مخطوط " عن الجوهر المزدوج للغة " De l'essence double du langage في عام 1996، ما هي راهنية فكر سوسير ومؤلفه الشرعي؟

إنّ اكتشاف هذا المخطوط يستوجب إعادة قراءة مجموع المدونة السوسيرية برمتها، بما في ذلك كتاب (CLG)، لأنّ ذلك من شأنه تغيير موازين القوى. فإذا كنا من محبي الاحتفاء، فإن الاحتفال بمرور عشرين عاما عن هذا الاكتشاف ليس أقلّ أهمية من الاحتفال بالذكرى المئوية لكتاب (CLG).

ثمّ دعونا نتذكر أن العديد من المشاكل التي نوقشت من خلال كتاب (CLG)، من مثل اعتبارية العلامة، والفصل بين الدال والمدلول (مثلها يقدمه الرسم البياني الشهير)، وكذلك منزلة المفهوم: فكلّ ذلك لا تفسّره أية علاقة بسوسير، بل حتى لفظ "المفهوم" ذاته نكاد نلفيه غائبا من كتاب " كتابات في اللسانيات العامة (ELG)". إنّ مسألة الفصل هذه تُناقض مخطوطات سوسير المكتوبة والموقعة، وحتى فكرة اعتبارية العلامة قليلا ما نجد لها ذكرا.

ومن ناحية أخرى، فإنّ القضايا الرئيسية التي طرحها سوسير، من مثل إجناسية الخطاب، وعدم اتّساق المصطلحات اللسانية، ونظرية وجهات النظر، ونظرية الأزواج الثنائية (والتي تمّ تلقّيها بأنها "ثنائيات فاصلة") كلّ ذلك لم يلاحظه محرّرو

كتاب (CLG). إذ قاموا بتجنّب كلّ ما يجعل من موضوع اللغة مادةً معقدة، وفضّلوا بدلا عن ذلك التمسك بخطة أكاديمية، مثلما تقتضيه التقاليد النحوية. وباختصار، فإنّه لم يتمّ تمثّل البعد النقدي للفكر السوسيريّ، أو أنّه قد تمّ محوه، بهدف الاحتفاظ فقط بما يبدو متلائما مع الإطار الأكاديمي. وبالرغم من أنّ مؤلفين كبارا من مثل "هيامسليف Hjelmslev" أو "كوسيريو Coseriu" أو "بنفنيست Benveniste"، قد استنبطوا من المذكرات Mémoire ومن مصادر فرعية أخرى (وغالبا غير مكتملة) ميزات مهمة للمشروع السوسيريّ، إلّا أنّ الروتين أصبح راسخاً لدرجة أنّه منذ اكتشاف "الجوهر المزدوج L'essence double"، فلا شيء يبدو وأنّه قد تغير.

يجب الاعتراف بأنّ استخلاص النتائج التي دعا إليها فكر سوسير سيؤول إلى "مراجعات مؤلمة" وسيدمر الروتين النحوي، إذ بينما يقطع سوسير العلاقة مع الأنطولوجيا، كيف يمكننا الحفاظ على سبيل المثال على إجناسية تصنيف أجزاء الخطاب المبنية استناداً إلى الأنطولوجيا الأرسطية والتي ظلّت على حالها من ديونيسيوس تراقيا إلى تشومسكي؟

وفي كل الأحيان والأنحاء حين نميّز بين الأسماء والأفعال فنحن نوصل "للأنطولوجيا"، في حين أنّ العديد الغالب من اللغات، من مثل الصينية، فإنّه لا توجد بها مثل هذه المعارضة بين الفعل والاسم.

ويبدو أنّ كثيرا من القضايا النحوية ستتلاشى (أو ستصبح على الأقل غير راهنة) حين تُفصل عن سياقها الأنطولوجي أو تجتث من خلفياتها المعرفية. وسيكون ذلك انتصارا بطعم التحرر، لأنّ العلوم في جديّاتها النقدية ونشاطاتها التراكمية إنّما تتقدم حين تتجاوز المشاكل الزائفة والمفاهيم غير الملائمة.

4 ما هي خطوط البحث التي تم تطويرها فيما يتعلق بالعودة إلى نصوص سوسير و / أو "السوسيريّة الجديدة"؟

يجب إعادة قراءة سوسير، ومن أجل ذلك ينبغي إعادة ربط الصلة بالفيلولوجيا وبالهيرمينوطيقا، فإنّ هذا ما تحتاجه إليه اللسانيات فعلا.

دعونا نميز بين حاجتين ضرورتين متكاملتين: بين العودة إلى النصوص (بدءًا بتأسيسها أولاً!) وبين ضرورة استثمار الأفكار السوسيريّة في اللسانيات. وحتى لو أنّ فيلولوجيا النصوص السوسيريّة تجعل من العودة إلى سوسير شرطا جزئيا فإنها لا تختلط بالسوسيريّة أو بالسوسيريّة الجديدة.

وما نقصده بالسوسيريّة الجديدة هو ذلك التوجه السوسيريّ المستوحى من النصوص المكتشفة سنة 1996.

لن أهتم هنا بتتبع الفروقات الماثرة بين القديم (السوسيريّة) وبين الحديث (السوسيريّة الجديدة)، لكن تجدر الإشارة إلى تلك الأعمال الوصفية والتي حتى ولو لم تُشر صراحة إلى سوسير فإنها قد وظّفت المبادئ الكبرى المستوحاة من فكره، ولننظر على سبيل المثال إلى أبحاث "نُونْزِيو لا فاوتشي" *Nunzio La Faucci* في مجال نحو اللغات الرومانية وصرفها.

أقول ذلك لأنّ واقع الحال يشهد باستئساد البحث النظري على التطبيقي، ذلك أنّ معظم النماذج المعاصرة هي عمالقة على مستوى النظرية وأقزام في ميدان الوصف والتحليل. وبذلك استطاع سوسير أن يلج المنطقة المنسية للمنهجية، ليفتح الباب أمام متطلّبات جذريّة جديدة.

فها هي ذي اللسانيات أضحت علماً منذ ما يزيد قليلاً عن القرنين من الزمان، وقد تأتّى لها ذلك من خلال تمثّلها للنحو من جهة وتجاوزها له من جهة أخرى. ناهيك عن انفصالها عن فلسفة اللغة، أين كانت التأمّلات الفكرية لا تزال تراود التّخمين. فلم يكن إذ ذاك تعدّد اللغات من المواضيع العلمية التي عني بها علم النحو أو فلسفة اللغة، إلى أن جعلت منه اللسانيات موضوعها الجديد وآثرته بمنهجية خاصة، عُرِفَت بالمقارنة والتاريخية. وأضحت هذه المنهجية مجالاً اشتركت فيه جميع العلوم الثقافية التي تشكّلت في نفس الفترة (الأنثروبولوجيا، تاريخ الأديان، الأدب المقارن). اسمحو لي أن أصرّ على أن تبني هذا التّوجّه المنهجي الجديد، هو بمثابة البناء التأسيسي بالنسبة للتخصصات التي تهدف إلى وصف التنوع البشري .

من أجل ذلك فإنّه لا يمكن لفلسفة اللغة أن تقدّم شيئاً، لأنّها تفتقر للزّعة التاريخية ولا تأخذ في حسابها تنوع اللغات (ولا حتى الثقافات). لقد ألهمت القواعد النحوية الكونية (العالمية) وعصّضتها عن طريق أصوات متعددة، هذه القواعد ترتكز على تأكيدات جمّة وغالبا ما تكون قطعية بخصوص العقل البشري.

ومن ناحية أخرى، فإنّ سوسير يقف على النقيض من فلسفة اللغة المعاصرة والتي نادراً ما تكاد تشير إلى اللسانيات، وتجاهل أيضاً مفاهيم المورفيم والفونيم، الخ... وهو ما يفتح الأبواب أمام عدّة مشاكل مغلوطة، من مثل المرجع والتي قامت السوسيرية بتجاوزها منذ فترة طويلة.

لا يقصد سوسير تأسيس شيء جديد، بقدر ما يهدف إلى ترسيخ تخصص علمي موجود منذ حوالي قرن من الزمن، وتزويده بمركّز منهجي أكثر ضماناً. وتتجلى مهمة سوسير هذه في ترسيخ اللسانيات وتدعيمها بأساس منهجي، من خلال ما يلي:

- لتنفيذ هذا المرتكز، يتكئ سوسير على نظريته في السيميوزيس أين أعاد بموجبها بناء مفهوم العلامة، والتي تمّ تقديم مفهومها خلال كتاب (CLG) تقديمًا خاطئًا ومختزلًا (ويفتقر لأدنى إحالة من المصادر المخطوطة) .
- ويتكئ سوسير أيضًا على نظريته في الأزواج الثنائية (نظام الأزواج) والتي عرضها بشكل حاسم في "عن الجوهر المزدوج للغة *l'essence double du De langage*". والتي تتجاوز ما كنا ندعوه (على نحو خاطئ) بالثنائيات الفاصلة (المائزّة) *Dichotomies*.

- ولم يتمكن سوسير من ذلك سوى لأنه أعلن القطيعة بشكل حاسم مع الممارسات التقليدية (التي كانت تُبنى عليها نظريات المرجع والدلالة)، وذلك من أجل تقديم مفهوم مختلف تمامًا للوحدات اللسانية. ومن ناحية أخرى سيسمح له تطبيق مثل هذا الإجراء ببناء سيمولوجيا عامة ومقارنة. إنّ مثل هذه السيميائية هي ضرورية أكثر من أي وقت مضى في عالم مشبوك "الوسائط المتعددة".

4 في كتابك الجديد سوسير في المستقبل (Les Belles Lettres, 2015) ما هي الحجّة الرئيسة التي يقوم عليها الكتاب ؟

من الواضح أن خطّ هذا الكتاب يندرج ضمن تاريخ الأفكار اللسانية وضمن الاستيمولوجيا، ولكن ومثلما أشرتم إليه تمامًا فإنه يفتح الباب أمام عدة اتجاهات بحثية راهنة وآمل أن تكون مستقبلية أيضًا، وتعلق هذه الاتجاهات بشكل خاص بلسانيات المدونات وسيميائيات الوسائط.

يجب إعادة وضع مسألة السيميوزيس ضمن مركز الاهتمام البحثي، في الحين الذي نلفي فيه أنّ التفكير السيميائي الخالص قد اختفى فعلا من الدرس اللساني. ذلك أننا

في حاجة ماسة ليس فقط لسميائيات النصوص أو المدونات ولكن أيضا لسميائيات العلامات اللسانية. كالبحت مثلا حول كيفية اشتغال علامة الترقيم "؟" (إذ يبدو السؤال سخيفا، ذلك أنّ النحو الشكلي لا يشير إطلاقا إلى علامات الترقيم التي يبلغ عددها حوالي 20 بالمائة من سلسلة العلامات).

وباختصار فإنّ اللسانيات ومن وراءها باقي علوم الثقافة تحتاج إلى مشروع شامل ووحدوي والذي بدونه ستغرق في أتون الطرافة النادرة، وسيحكم عليها - وقد بدأ ذلك فعلا - بالذوبان داخل علوم المعرفة والتواصل.

إننا حين ندعو إلى ضرورة إعادة قراءة دوسوسير وأهمية ذلك فإنّما نروم تأكيد تعميق المشروع الاستيمولوجي لتخصصاتنا العلمية.

5 قام " فرانسوا دوس François Dosse " بتسمية المجلد الثاني لكتابه "تاريخ البنيوية": Histoire du structuralisme بأشودة البجع في إشارة منه إلى إخفاق البنيوية. فهل تعتقدون أن البنيوية فقدت قوتها بوصفها نظرية ومنهجاً؟

كما تعرفون فإنّ "فرانسوا دوس François Dosse" هو صحفي. وقد كان شاهدا على التقليد التاريخي الذي جعل من البنيوية تيارا فكريا عرف تطوره نهاية الخمسينات واستمر بريقه إلى أن أفل نجمه أمام تيارات "ما بعد البنيوية" أوائل السبعينات.

وفي الواقع، فإنّ البنيوية بلغت ذروتها في فترة ما بين الحربين وقد أسهمت السوسيريّة، التي تطورت خلال القرن الماضي، بدور كبير في ذلك.

ومن ثمّ بدأ الارتباك والخلط. فقد تحفّظ "تشومسكي" بشأن "بنيوية" التوزيعيين الأمريكيين رافضا نسبتهم إلى البنيوية، بالرغم من أنه استعار منهم: علبة هوكيت

(التي هي في الواقع رسومات تشجير تركيبية). غير أن دعاة البنيوية هؤلاء لا يمتنون بصلة واضحة إلى التسوسيرية.

وعلى النقيض من ذلك فقد ناضلت التفكيكية من أجل "اللافهم" ومن أجل الرفض المبدئي للنزعة الوثوقية العلمية، إذ ومنذ تاريخ 1966 نلغي أن "دريدا" قد اعترم وضع حد نهائي لمفهوم الحقيقة ذاته.

وفي الواقع فإنّ البنيوية تظلّ غير مفهومة بما فيه الكفاية، وإني لأسعد أنه بمناسبة الذكرى التسعين لتأسيس البنيوية، أن قامت حلقة براغ اللسانية بتخصيص شهر أكتوبر العام المنصرم 1996 لتنظيم ملتقى دوليا حول البنيوية: ماضيها وحاضرها. يتم تقديم البنيوية بشكل أصحّ بوصفها تأكيداً لأولية العلاقات على المصطلحات (وهو ما يعني وضع حد للتقاليد الأنطولوجية).

صحيح، غير أن طبيعة هذه العلاقات (البنيوية) لا يمكن اختزالها في مجرد الثنائية الفونولوجية التي تنتهي إليها قراءة ياكبسون لكّاب (CLG). ويبدو أن ياكبسون لم يستوعب الطابع الجديد والجذري للثنائيات التسوسيرية، ولا حتى حجم الإضافة التي يمكن أن تقدّمها هذه الثنائيات لجدلية الثقافية (وأشير هنا تحديداً إلى الجدلية الطبيعية لأنجلزEngels).

ويجب علينا أن نقرّ بأنّ للعالم السيميائي شرعيته الخاصة، ومن ثمّ يتوجّب وصفه وتحليله. ووفقاً لكاسيرير Cassirer فإنّ الأشكال الرمزية يمكن وصفها بأنها نسق من العلامات.

ويفترض ذلك القيام بعمل صبور من الإسقاطات التي توفرها المدونات الهائلة والمتراكمة، والغريب أن صناع القرار ألغوا مواقف الباحثين القادرين على قراءتها والاستفادة منها.

6 ما هي المهام الموكلة لمعهد فرديناند دو سوسير والمجلة الإلكترونية **Texto!** يعدّ المعهد مؤسسة علمية تأسست عام 1999، تتكفل بالمهام المنوطة بها أجل تفعيل ثلاثة برامج:

1 الدراسة الفيلولوجية والتأويلية للنصوص السوسيريّة. (انظر: الدليل سوسير، حرره سيمون بوكيه **Simon Bouquet**، باريس، **L'Herne**، 2003) والذي قام بنشر وقائع المؤتمر الدولي الأول للمعهد.

2 علم دلالة النصوص.

3 سيميائية الثقافات (انظر العمل الجماعي: مدخل إلى علوم الثقافة: **Paris, PUF, 2002, introduction aux sciences de la culture** والذي ضم أعمال الملتقى الدولي الثاني).

إنّ المجلة الإلكترونية **Texto! Textes et cultures** (**texto-revue.net**) والتي تأسست سنة 1995 ومعنى ذلك أنّها تأسست بتاريخ سابق جدا على المد الرقي وتدفقه الهائل، فهي بذلك تفضل أن تنشط ضمن نفس المجالات البحثية سابقة الذكر.

7 ما رأيكم في ما يخص تأثير كتاب سوسير (يقصد **CLG**) في أمريكا اللاتينية والمكسيك؟

إن الاهتمام باللسانيات التاريخية والمقارنة أمر لا يمكن إنكاره في أمريكا اللاتينية والمكسيك، غير أنّ الالفت للانتباه أنّ مؤلفين من أمثال بوتّي **Pottier** وكوسيريو **Coseriu** معروفون جدا بهذه المنطقة، في حين أنّ نظريات قريبة منها جغرافيا من مثل قواعد النحو الكوني بأمريكا الشمالية لم تقو على بسط هيمنتها.

من أجل ذلك فإن الإشكاليات الفيلولوجية والهيرمينوطيقية تبقى دائماً متاحة ومشروعة. كما أنّ اسم سوسير قد نجا بسهولة من مطبّ التجاهل الأكاديمي، فسوسير ليس مجرد اسم مرتبط ببعض الصور النمطية، (وأقصد هنا زميلاً من أمريكا كان يقول لي: سوسير، سمعتُ اسمه في مجال اللسانيات !).

▪ Simon Bouquet, (2014) Introduction à la lecture de Saussure, Paris, Payot, seconde édition.

▪ François Rastier (2015) Saussure au futur, Paris, Les Belles Lettres - Encre marine.

▪ François Rastier, éd. (2016) "De l'essence double du langage" et le renouveau du saussurisme (nouvelle édition revue et corrigée d'Arena Romanistica, n° 12, Bergen, 2013), ISBN 978-2-35935-160-6. Contributions de Marie-José Béguelin, Simon Bouquet, Tullio De Mauro, Giuseppe D'Ottavi, Ludwig Jäger, Kazuhiro Matsuzawa, Régis Missire, François Rastier, Jürgen Trabant, Arild Utaker.

▪ Arild Utaker (2016) La Philosophie du langage. Une archéologie saussurienne (réédition de Paris, PUF, 2002), ISBN : 978-2-35935-125-5.

▪ هذه الإحالة الخاصة بهذا المقال:

FRANÇOIS Rastier, LUIS de la Peña et Marcos j. GONZÁLEZ (2017) «Du

Cours de linguistique générale au saussurisme d'aujourd'hui», [En ligne],

Volume XXII - n°1 (2017) . Coordonné par Guillaume Carbou & Régis

Missire, URL : <http://www.revue-texto.net/index.php?id=3869>.

الإحالات الواردة في البحث :

- 1- أقدم جزيل الشكر ل: فرونسا راسيتي على جميل صبره وكرمه.
- 2- Ducrot, Les topoï dans la « Théorie de l'argumentation dans la langue », in Plantin, C., éd. Lieux communs, topoï, stéréotypes, clichés, 1993, p. 248, n. 7.
- 3- Ecrits, Paris, Editions du Seuil, p.498.
- 4- Séminaire III, Paris, Éditions du Seuil, 1981, p. 210 .
- 5- « Symbolique, imaginaire, réel », Bulletin interne de l'Association française de psychanalyse, Paris, 1953, p. 407.
- 6- Lacan, 1981, op. cit., p. 288, 289
- 7- يرتكز كلُّ من تفكيك سوسير ومفهوم العلامة على أساس تلاعب متعمّد من "دريدا" الذي يضفي الشرعية الكاملة على كتاب (CLG)، والحقيقة أنّ هذا الكتاب غير أصلي كتبه زملاء سوسير ونُشر باسمه بعد ثلاث سنوات عن وفاته. "فما مدى مسؤولية سوسير عن كتاب (CLG)، مثلها هو محرّر ومقدّم للقراءة بعد وفاته؟ إنّهُ سؤال ليس بجديد. وهل ينبغي إعادة التأكيد على أنّه لا يمكننا منح أيّة وجاهة لهذا الكتاب ؟ ما لم نكن مخطئين بشدة بشأن طبيعة مشروعنا فسندرك حينها أنّنا أولينا القليل جداً من الاهتمام بفكر فرديناند دو سوسير نفسه، وأننا كما مهتمين بنص لعبت حرفيته الدور التي نعرفه منذ عام 1915 ، نص عمل في نسق من التلقي والتأثير وسوء الفهم وظلال من الاستعارات والجهل ، الخ. إن ما أمكننا قراءته - وكذلك ما لم نصل إلى قراءته - بخصوص كتاب (CLG) قد حملنا على استبعاد أيّة نية خفية و"حقيقية" لفرديناند دو سوسير. فذا لو اكتشفنا أنّ هذا النص قد حجب عنا نصّاً آخر - ولن يكون التعامل هنا سوى مع النصوص - وقد قام بحجبه ليخدم غرضاً بعينه، فإن القراءة التي اقترحناها للتّو سوف لن تكون ،على الأقل لهذا السبب، بعيدة

عن الصواب. على العكس من ذلك تماماً " (De la grammatologie, Paris, Éditions de Minuit, p. 107, n. 38).

وبذلك يبيح دريدا لنفسه تسطير تاريخ زائف، بما أنّ قراءته فقط هي التي تهّم ، ولأن المترجم دوماً هو سيّد الترجمة، وليس النص الذي فقد مصداقيته منذ تمّ أن اختزاله إلى مجرد ذريعة.

-8 Paris, Galilée, 1976, p. 39 .

9- للحصول على معلومات ، إليك حجة يوم دراسي نظمته أنا وأستريد غيوم في مايو 2016 في جامعة السوربون "بعد عشرين عاماً من اكتشاف ما يسمى بخطوط باستان البرتقال ، وبخاصة الجوهر المزدوج للغة حان الوقت للتقييم وقياس المدى الذي وصلنا إليه وتقييم الآفاق المتاحة. لقد تم بناء السوسيرية في مجملها من خلال مسار كتاب (CLG)، والذي يتم الاحتفال بالذكرى المثوية له هذا العام. ومع ذلك، فإن نشر وثائق جديدة في عام 2002 جعل من سوسير، يتمّ تقديمه بشكل مغاير تماماً، يقدم بوصفه مؤلفاً في هذا القرن، ذلك أن تلك الوثائق تتجاوز تلك الانتقادات الموجهة إلى كتاب (CLG) في الماضي من قبل ما بعد البنيويين والتفكيكيين. وبعيداً عن الإدانات الرسمية لبنوية متوهمة متخيلة، فقد أسهمت تلك الوثائق الجديدة في إعادة النظر وتعميق الإشكالية السوسيرية في اللسانيات، لدرجة أننا نستطيع التحدث عن سوسيرية جديدة. لا شك أن التحديّات النظرية والوصفية الجديدة تخصّ بالطبع منهجية التحليل اللغوي ولكن أيضاً تهّمّ السميوزيات والأشكال السيميائية والأساليب والأنواع والخطابات فإلى جانب اللسانيات، بالطبع، فإن تخصصات ومجالات بحثية من مثل: علم الأسلوب، والدراسات الأدبية، والعلوم الإنسانية الرقمية، وسميائية الثقافات، وبشكل أعم، جميع العلوم الإنسانية والاجتماعية أضحت تهتم بالتطور الجديد للسانيات السوسيرية، والتي من شأنها أن تساهم في بلورة مشروع موحد".

10- لا يتعلق الأمر هنا بـ "الحياة الاجتماعية" المفردة للنظام اللغوي فقط la vie sociale "بصيغة المفرد" مثلها هو مذكور في كتاب (CLG) ، بل " للمجتمعات "des sociétés" بصيغة الجمع" بحسب ما جاء في المخطوطات. فالجمع لمجموع الأنسقة الدالة سواء أكانت لغوية أو غير لغوية.

11- إضافة المترجم: هو السؤال الخامس حسب ترتيب الأسئلة.

- 12 - إضافة المترجم: هو تعبير مجازٍ يرمز إلى آخر عمل أو جهد أو إيماءة قبل الوفاة أو الرحيل. ويعود هذا التعبير إلى اعتقادٍ قديم مفاده أن البجع يقوم بالغناء قبل لحظات من وفاته بعد أن ظلّ صامتاً طيلة حياته. ويمكن مقابله بالمثل العربي القائل: سكت دهرًا ونطق كفرا.
- 13 - عدم الركون للفكر الثابت والحقيقة المطلقة، تزيح مفردة الحقيقة من مركز الصدارة .
- 14 - في إشارة إلى صورة سوسير في أمريكا.
- 15 - إضافة المترجم: تضمّ الأعمال الكاملة لهایدغر 102 Gesamtausgabe دفترا، أما الدفاتر السوداء Schwarze Hefte، وكتبت ما بين 1931 و 1975 ويبلغ عددها 33 دفترا موزعة بين تأملات وملحوظات بمساعدة ورثة هايدغر والأرشفات الأدبية الألمانية . كما أنّ هناك أجزاء لم تطبع إلا في 2015. كما أنّ هناك دفترا Megiston et Paroles fondamentales عثر عليهما مؤخرًا لا ينتميان إلى الأعمال الكاملة.